

الفصل الرابع حِكْمَةُ تَخْرِيمِ الْغِنَاءِ الْمَاجِنِ وَأَثَرِهِ فِي هَذْمِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّرْبِيَةِ

١ - تعريف بالمفاهيم الصحيحة :

أولاً: تعريف المجتمع :

عَرَّفَ أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة المجتمع فقالوا^(١) :

- المجتمع لغة: مكان الاجتماع ويطلق على جماعة من الناس .

- واصطلاحاً: مجموعة أفراد تربطهم علاقات مُنظَّمة، وَخَدَمَاتٍ مُتبادَلة، وَتَسوُدُهُم رُوحٌ عامة وتقاليد مشتركة يخضعون لها جميعاً، فللمجتمع سلطانٌ على أفرادهِ كالأُسرة والأمة .

وفي التنزيل قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾^(٢) .

ومقتضى الآية أن الله عز وجل خَلَقَ النَّاسَ مِنَ الْجِنْسَيْنِ للتكاثر واستخلاف الأرض وجعلهم شعوباً وأممًا لكي يتعارفوا فيما بينهم، وأن أفضلهم عند الله وأقربهم إليه الْمُتَّقُونَ عذابه باتباع شرائعه، وإنما يتفاضلون بمدى التزامهم لأوامره وابتعادهم عن معاصيه لا بأنسابهم .

وفي الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٣) .

(١) مجمع اللغة العربية - القاهرة «المعجم الفلسفي» الصفحة (١٧١) رقم المادة (٨٩٠) .

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٣) .

(٣) أخرجه «مسلم» في «الصحیح» (١٩٨٧/٤)، (٤٥) - كتاب البر والصلة والآداب، (١٠) - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله الحديث رقم ٣٤ - (٢٥٦٤) . وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٣٨٨/٢)، (٣٧) - كتاب الزهد، (٩) - باب القناعة، الحديث رقم (٤١٤٣) .

ويعبّر ابن خلدون في «مقدمته» الصفحة (٤١) بأبلغ تعبير عن علم الاجتماع فيقول:
الاجتماع الإنساني ضروري ويُعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مَدْنِيٌّ بالطبع، أي لا بُدَّ له من الاجتماع . . . وبيّانه أن الله خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لَا يَصِحُّ حَيَاتُهَا وَيَقَاوِمُهَا إِلَّا بِصِنَاعَاتٍ مُتَعَدَّةٍ . . . لأن=

ثانياً: تعريف الأخلاق:

وأما الأخلاق فَيَعْرِفُهَا الدكتور أسعد سحراني^(١) بقوله:

«هي بحث من الفلسفة العملية، وهي معيار الفضائل^(٢)، وبيان كيفية تحصيلها لِتَسْتَحْلِيَ النفسُ بها، كما أنها تَعْرِفُ على الرذائل^(٣) ومخاطيرها بِفَرْضِ تَجَنُّبِهَا وَالتَّحَلِّيِ عنها. ويتابع قائلاً:

الأخلاق إذاً ليست موقفاً وُضِعَتْ لِمَا حَصَلَ مِنْ أفعال وسلوك، وإنما هي مبادئ وقواعد تستند عند صاحبها إلى العقيدة، لِتَكُونَ المِيعَار الذي يحكم بواسطته على مختلف الأمور والأفعال الصادرة عنه أو عن غيره.

فالأخلاق بمعنى أدق: مغراجٌ لِإِنْسَانِيَّةِ الإنسان تجاه المثل العليا لِتَرْكِيَةِ النفس وتساميها فوق نوازع الشؤء وأدران الشهوة والغريزة» انتهى كلام السحراني. ووصف الله تعالى رسوله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وقال ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٥) أي نهايتها.

وعندما سُئِلَت السيدة عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ قالت: كان «خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»^(٦).

ثالثاً: تعريف التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية هي التي تُجَسِّدُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ نَصّاً وَرُوحاً وَهَدَافاً وَمَنَاجِحَ، أُسْلُوباً وَطَرِيقَةً، قَدْوَةً وَمِثَالاً، وَكَانَتْ هَذِهِ تَرْبِيَّةَ عَهْدِ النَّبُوَّةِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

= فُدْرَةُ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاصِرَةٌ عَلَى تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ... فَلَا بُدَّ مِنْ اجْتِمَاعِ الْقَدَرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجِنْسِ... ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ فَلَا بُدَّ مِنْ وِزَاعٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طَبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةَ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ. وَتَحَاوَلِ الْفَلَاسِفَةُ إِثْبَاتَ النَّبُوَّةِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ وَأَنَّهَا خَاصَةٌ لِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ فَيَقْرُونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوِزَاعِ... وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ «بِشْرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنَ اللَّهِ» يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُمْتَبِعاً عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصٍ هِدَايَتِهِ لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ» انتهى كلام ابن خلدون بتصرف فليظنره من شاء فإن فيه فوائد عظيمة.

(١) أسعد سحراني «الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة» (١٧ - ٢٢).

(٢) ومن تلك الفضائل: الصدق والوفاء والإخلاص والأمانة وحفظ السر والصبر على المكاره وغيرها.

(٣) ومنها التَّفَاقُ وَالْكَذِبُ، وَأَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَالرِّشْوَةُ، وَالِاحْتِيَالُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَالزُّنَى وَغَيْرَهَا.

(٤) سورة القلم، الآية: (٤).

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٠٤/٢) الحديث رقم (٨) قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

(٦) ومعناه العمل به والوقوف عند حدوده، والتأديب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته، والحديث

أخرجه مسلم في «الصحیح» (٥١٣/١)، (٦) - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (١٨) - باب جامع صلاة الليل

ومن نام عنه أو مرض، الحديث رقم ١٣٩ - (٧٤٦) وهو جزء من حديث طويل. وأخرجه أبو داود في «السنن»

(٨٧/٢ - ٨٨) طبعة الدعاس، (٢) - كتاب الصلاة، (٣١٦) - باب في صلاة الليل الحديث رقم (١٣٤٢)، والنسائي

في «السنن» (٢٢٢/٣ - ٢٢٢)، (٢٠) - كتاب قيام الليل، (٢) - باب قيام الليل، الحديث رقم (١٦٠٠).

وهي مجموعة المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطارٍ فكريٍّ واحدٍ يَسْتَنِدُ إلى المبادئ والقيَم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يُؤدِّي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سُلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام»^(١).

والتربية الإسلامية هي تلك التربية التي تجمع بين تأديب النفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، فهي تعنى بالتربية الدينية، والخُلُقِيَّة، والعِلْمِيَّة، والجِسْمِيَّة، دونَ تَضْحِيَّةٍ بأيِّ نوعٍ منها على حساب الآخر»^(٢).

قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ»^(٣).

ذلك أن من فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاجٍ شاملٍ، قويمٍ في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال وتكوين وبناء الحضارات، وإرساء قواعد المجد والمدنيَّة... وما ذاك إلاَّ لتحويل الإنسانيَّة التائهة من ظلمات الشُّرك، والضلالة، والفوضى، إلى نُور التوحيد والعلم، والهُدَى، والاستقرار.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾﴾^(٤).

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«مَنْ كَانَ مُتَأَسِّبًا، فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَمَهَا تَكْلُفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَأَعْرَفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ»^(٥)»^(٦).

٢ - خطورة هذه البلية (الغناء) وأهميتها:

إنَّ من هم الأسباب التي أفسدت الأخلاق وأتت بالانحراف والانحلال والميوعة لكثيرٍ من أبنائنا وبناتنا ورجالنا ونسائنا في هذا العصر، كثرة الملاهي المحرَّمة شرعاً.. .

وإن من أهم تلك الملاهي المشؤومة هذه الأغاني المائعة الماجنة مع ما يصاحبها من

(١) سعيد إسماعيل علي «مصادر التربية الإسلامية» (١/١٦٩).

(٢) أحمد فؤاد الأهواني «التربية في الإسلام» الصفحة (٨) وانظر محمد منير سعد الدين «التربية عند المسلمين» الصفحات (١٠ - ١١).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (١٠/٣٤٤) الحديث رقم (٤٤٩٢)، والنسائي في «عشرة النساء» الحديث رقم (٢٩١).

(٤) سورة المائدة، الآيات: (١٥، ١٦).

(٥) عبد الله ناصح علوان «تربية الأولاد في الإسلام» (١/٥، ٩).

(٦) أبو نعيم «حلية الأولياء» (١/٣٠٥ - ٣٠٦) وعنده هو قول عبد الله بن عمر باختلاف باللفظ.

المعازف والموسيقى المطربة، التي تبثها الإذاعات والتلفزة المحلية والمتوردة بأساليب مختلفة، منفردة، أو ضمن مسرحيات وقصص غرامية، وأفلام خليعة... وقد اكتظت بتلك الظاهرة السيئة جميع الأندية ودور السينما في جميع أقطار عالمنا الإسلامي - إلا ما قلّ وندر - حتى دخلت تلك المفسدة الخطيرة الفنادق السياحية وكثيراً من البيوت العائلية المتحضرة عن طريق الفيديو.

وقد تسبب عن هذه الظاهرة الخبيثة انهيارٌ حُلُقِيّ رهيب، وبسرعة مذهلة في جميع طبقات الأمة، لا سيما الشباب المراهقين الذين لم يتربوا تربية إيمانية صحيحة وخلقية صالحة، فأفسدت عفتهم، فلا ترى شاباً عفيفاً غيوراً يصون شرفه وعرضه عن الضياع إلا من عصمه الله، ولا شابة تحفظ شرفها وعفتها من أماكن الريبة إلا من عصمها الله.

ولا ترى أكثر الآباء والأمهات في كثير من مجتمعاتنا إلا وقد أهمل تربية أولاده في تلك الناحية، فماتت غيرته نحو صبيانه وعرضه شيئاً فشيئاً، بل أصبح كثيرٌ من شبابنا مُهَرَّجِينَ وممثلين، ومغنين ومطربين، وهكذا يظهرون في كل مكان في مشيتهم ولبستهم... حتى ضاعت اللياقة والاتزان والتعقل والتمييز بين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح، وبين المفيد وغير المفيد، فأصبحوا إمعة^(١) مع أن نبينا محمداً ﷺ نهانا من ذلك فقال: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطئوا أنفكم، إن أحسن الناس أن توحينوا وإن أسأوا فلا تظلموا»^(٢). كم ترى منهم من لم يحفظ القرآن الكريم غير فاتحة الكتاب، وقد حفظ عشرات الأغاني الخمرية؟ وكم تلاقي من امتلأت خزائنه من مجلات الأغاني المائعة والألحان المطربة، وليس لديه كتابٌ واحدٌ من الكتب الإسلامية الصحيحة أو العلمية النافعة؟ وكم تشاهد من لم يتعرف اسم راوٍ من رواة الحديث المشهورين، أو اسم صحابي جليل مع أنه يذكر لك عشرات من المغنين والمغنيات والمطربين عن ظهر قلب.

وقد أفسدت تلك الأغاني: العقل، والدين، والشرف، والمال، والأمل، بعدما أمتت الأخلاق الفاضلة وأقربتها، فأصبح الإنسان الذي اعتاد بممارسة تلك الأغاني الماجنة، والقصص الخرافية الجنية والأفلام الفاجرة باستماعها ومشاهدتها، أصبح إنساناً فاقد الوعي والوازع الديني والخلقي، هذا هو الواقع المرير...»^(٣).

(١) الإمعة: الذي لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء. ابن منظور «لسان العرب» (٣/٨) مادة (أمع).

(٢) رواه الترمذي في «السنن» (٣٦٤/٤)، (٢٨) - كتاب البر والصلة، (٦٣) - باب ما جاء في الإحسان والعفو الحديث رقم (٢٠٠٧) وقال: حديث حسنٌ غريب.

(٣) الشيخ هارون خليفة جبلي «مجلة مجمع الفقه الإسلامي» الصفحة (٢٣٩٨ - ٢٣٩٩)، الفصل الرابع: الملاهي المحرمة، بحث الأغاني والمعازف وأحكامها في الإسلام، العدد الرابع، السنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

إنَّ ضرر المغنين والمغنيات أعظم في الأمة من عصابات اللصوص وقُطاع الطرق، فقطاع الطريق يعتدي على واحدٍ أو اثنين، وأما هذا فقد غزانا في بيوتنا عبر المذيع والتلفاز وأشربة التجيل (الكاسيت) والأفلام والفيديو و«الدَّش»، فأفسدَ ذكراننا وأفسدَ أثنانا ومن بعدهم أفسد الحياة، وحكَمَ على أطفالنا بالانحراف التربوي، غزانا في مراكز عملنا، في الشركات التجارية، في المحلات، في المصنع، في الصيدليات، في البنوك، في سفَرنا وإقامتنا، فأينما يذهب الإنسان يسمع أشربة التجيل ويحاربُ ربَّ الأرض والسماء... .

جريمة المغني أعظم من جريمة قاطع الطريق أو اللص بكثير، فهذا يُفسدُ قلوب العامة عبر وسائل الإعلام، وذلك لا يؤدي إلا صاحبه. من هنا ينبغي أن تُوجَّه العناية لضرب هؤلاء بيدي من حديد على ما بدأ به رب العالمين في العهد المكِّي حين حرَّم الغناء^(١).

٣ - مفاصد الغناء الماجن :

مفاصد الغناء كثيرة، وكل مفسدة متشعبة منه.

أولاً: فالغناء الماجن يصدُّ عن ذكر الله :

وهذا ثابت لا يختلف فيه اثنان .

تَبَّتْ عن الضحَّاك أنه قال : « الغِناءُ مفسدةٌ للقلب، مسخطةٌ للرب »^(٢).

كقول بعضهم هداها الله :

بَطَّلْتُ صوم وصدِّي

وعالجنة مني رايح وعجهنم رايح وراك

تُرى ما السبب الذي جعل مثل هذه المغنية تنشد هكذا؟

أ - القلب ملك الجوارح :

قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٣)

ولما كان القلب للجوارح والأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، تكتسب منه الاستقامة أو الزُّيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحلِّه، قال النبي ﷺ : «ألا وإنَّ في الجَمَدِ مُضْعَةً إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَمَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ

(١) الدكتور عبد الرحيم الطحان، محاضرة بعنوان «حكم الشريعة في الغناء» مجلة على أشربة كاسيت عدد (٢)، والشيخ أحمد القطان، محاضرة أقيمت بالمدينة المنورة بعنوان «حكم الغناء والمغنين وآلات العزف» مجلة على شريط كاسيت، والشيخ عائض عبد الله القرني، محاضرة بعنوان «حكم الشريعة في الغناء» مجلة على شريط كاسيت أيضاً.

(٢) ابن أبي الدنيا «ذم الملامي» الصفحة (٦٠) الأثر رقم (١٣)، وابن الجوزي «تلبس إبليس» الصفحة (٢٨٩)، ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منها.

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٠).

الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١) فهو مَلِكُهَا، وهي المُنْفَذَةُ لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيتة؛ لذا كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢). والقلب في الأصل مَصْدَرٌ، وَسُمِّيَ بِهِ هَذَا الْعَضْوُ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ لِزُرْعَةِ الْخَوَاطِرِ فِيهِ وَتَرَدُّدِهَا عَلَيْهِ، وَأُنْشِدَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ فَأَخَذَرِ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ^(٣)
والشيطان يُقْبِلُ عَلَى الْقَلْبِ بِوَجْهِ الشَّهَوَاتِ وَمُفْسِدَةِ الْغِنَاءِ.

إِذْ لَمَّا عَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْقَلْبِ وَالاعْتِمَادَ عَلَيْهِ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِ الشَّهَوَاتِ، وَزَيَّنَ لَهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ مَا يَصَدِّهُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَمَدَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْغِيِّ بِمَا يَقْطَعُهُ عَنِ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ، وَنَصَبَ لَهُ مِنَ الْمَصَائِدِ وَالْحَبَائِلِ مَا إِنْ سَلِمَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا، لَمْ يَسْلَمْ مِنْ أَنْ يَحْصَلَ لَهُ بِهَا عَلَى التَّعْوِيقِ.

وإن المغني والمطرب الفاسق لينشغل قلبه بالغفلة عن ذكر الله وقراءة كتابه الكريم وتعلم سنة نبيه المصطفى صلوات الله عليه، فيتحوّل قلبه بالغناء الماجن من قلب صحيح سليم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه إلى قلب سقيم مشتغل بالشهوات والغرائز والهوى وجمع المال الحرام بأي شكل عبر نشر الفجور والمُنكرات في وسائل الإعلام:

بَطَّأْتُ صَوْمَ وَصَلِّي بِسَيْدِي اغْبُثْ سَمَاكَ

وفي هذا كله ظلّم للإنسان لنفسه وحزّب على الله ورسوله تبثه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية حتى في المناسبات الدينية كقوافير رمضان مثلاً وحفلات الغناء الماجن والرقص بمناسبة حلول الأعياد الإسلامية.

ب - ومن أمراض القلب المُدْمِرة التي يُسببها الغناء الماجن التي هي من عقبات النفوس الصّادّة للتوجيه:

١ - تغليب الأهواء والشهوات: عبادة المال والغرائز والملذات - التي هي آفات السلوك والتربية في هذا الزمان الفاسد، على عبادة الله الواجد القهار، ويعتبر هذا من أخطر الأمراض العقائدية، وذلك مثل أغنية: «الدنيا كاس وسيجارة».

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في «الصحيح» (١/١٢٦)، (٢) - كتاب الإيمان، (٣٩) - باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢). ومسلم في «الصحيح» (٣/١٢١٩)، (٢٢) - كتاب المساقاة، (٢٠) - باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم (١٠٧) (١٥٩٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٣٦).

(٣) ابن دقيق العيد «شرح الأربعين النووية» الصفحة (٤٨).

٢ - زيادة غرور النفس والرَّكْض وراء الشهرة: مع تحصيل ثروات مادية عظيمة تجعل المغني يميل بسلوكه نحو هواه لتحقيق ملذاته وغرائزه ورغباته الجنسية الغير المحدودة، وهذا الغرور هو الذي يمنيه به الشيطان لنشر الفواحش والمنكرات.

٣ - الأنانية: وحرية التصرف الذاتي تحت شعار الحرية في التُّنْظُم الوضعية التي لا تَزِدُّها مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يُعرف بالمصلحة الشخصية التي تُنْكَرُ المصلحة العامة.

٤ - الكِبَر والتعجرف: والتعالي على عباد الله مع العجب بالنفس.

٥ - الغفلة بحب الدنيا: فلا ذكر لله خالق الكون والمتصرف به ولا التزام بتطبيق أوامره ونواهي.

٦ - قساوة القلب: فلا انتفاع بموعظة ولا تأثر بنصيحة^(١).

وأَيُّ ظُلم بعد هذا الظُلم، فالكلُّ يعيش في مملكة الله عز وجل، ثم يُعَبِّدُ غَيْرُهُ ويُطاع.

ثانياً: ويدعو إلى الهوى الذي يهدم الدين وينشر الجهل فيُفسدُ الحياة^(٢):

ومن أمثلة ذلك في إعلامنا المعاصر:

١ - أغنية «أنا هويت وانت هيت».

٢ - و «الهوى هوايا»، و «أهواك وأتمنى لو أنساك»، و «زَيِّ الهوا» و «چانا الهوى».

٣ - و «الهوى سلطان، الهوى سُلطان».

٤ - وأغنية «أهوى، يا مين يقوللي أهوى».

٥ - وأغنية «هوا يا هوا».

٦ - وأغنية «يا إمي دُولبني الهوا» و «كرم الهوى».

٧ - وأغنية «يا أهل الهوى لا تلومونا، لا تلومونا».

٨ - وأغنية «أنا والعذاب وهواك».

(١) راجع في ذلك عبد الرحمن حسن حبنكة «غزو في الصميم» الصفحة (١٢٣) وردّه العلمي المنطقي لإزالة وتخطي هذه العقبات ففيه مثال للتربية العلمية الحسنة وبناء السلوك القويم.

(٢) ويغزو المؤرخ الكبير ابن خلدون سبب ظاهرة عشق العرب للأهواء إلى طبيعة البداوة التي هي أصلهم. فهم أقرب إلى خُلُقِ التوحش: كالعِظَلَة، والأَنْفَة، وبُعْدِ الهمة، والعَصَبِيَّة، والمنافسة في الرياسة، وأخذ ما في أيدي الناس خاصة، والتجافي عما سوى ذلك من الأحكام... فهم أبعد الأمم عن سياسة الملك، وإنما يصيرون إليها بعد انقلاب طباعهم، وتبدلها بصيغة دينية تمحو ذلك... كان رستم إذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول: أكل عَمْر كِبَدي، يُعلِّمُ الكلاب الآداب... ابن خلدون «المقدمة» الصفحة (١٥١ - ١٥٢) بتصرف واختصار.

وَالهَوَى بِالْقَصْرِ: العِشْقُ^(١)، وَهَوَى وَأَهْوَى وَأَهْوَى: سَقَطَ^(٢). والهوى: المعاصي والمحارم^(٣).

فإذا علمنا ذلك، اكتشفنا محاربتنا لخالق هذا الكون ومُدبّر أمره بنشر وبث المعاصي والمحرمات عبر وسائل الإعلام المعاصرة وهو - أي الكون - الذي لا يصلح إلا بما ارتضاه له العزيز الجبار بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَىٰ ۙ﴾^(٤).

وقد قال الإمام الجُنَيْد رحمه الله: «عِلَلُ الْقُلُوبِ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى، كَمَا أَنَّ عِلَلَ الْجَوَارِحِ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ»^(٥) فالْمَعْنَى إِنْ أَحَبَّ، أَحَبَّ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِهَوَاهُ، وَإِنْ أُعْطِيَ أُعْطِيَ لِهَوَاهُ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ لِهَوَاهُ، فَهُوَ آثِرٌ عِنْدَهُ، وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ رِضَا مَوْلَاهُ، فَالْهَوَى إِمَامُهُ، وَالشَّهْوَةُ قَائِدُهُ، وَالْجَهْلُ سَائِقُهُ، وَالْغَفْلَةُ مَرْكَبُهُ، يُنَادِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَلَا يَسْتَجِيبُ لِلنَّاصِحِ، وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، الدُّنْيَا تَخْطُهُ وَتُرْضِيهِ، وَالْهَوَى يَصُغُّهُ عَمَّا سِوَى الْبَاطِلِ وَيُعِمِّيهِ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٦).

قال الإمام الشَّعْبِيُّ رحمه الله: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْهَوَى هَوَى، لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ»^(٧).

وقال السادة العلماء: «مَنْ هَوَى (أَي عَشِقَ حَرَاماً) فَقَدْ هَوَى (أَي فِي النَّارِ)».

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمّه^(٨).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٩).

وقال ﷺ: «الْفَاجِرُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ»^(١٠). أي بأنه غفور رحيم غني عنه وعن عمله، فلا يعاقبه.

(١) الفيروزآبادي «القاموس المحيط» الصفحة (١٧٣٥).

(٢) ابن منظور «لسان العرب» (٣٧٠/١٥) مادة: (هوا).

(٣) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠٨/١٩).

(٤) سورة النازعات، الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٥) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١٦٧/١٦).

(٦) سورة المؤمنون، الآية: (٧١).

(٧) القرطبي «الجامع» (١٦٧/١٦)، والدارمي في «السنن» (١٠٩/١).

(٨) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١٦٧/١٦).

(٩) سورة القصص، الآية: (٥٠).

(١٠) رواه ابن ماجه في «السنن» (١٤٢٣/٢) عن شداد بن أوس، (٣٧) - كتاب الزهد، (٣١) - باب ذكر الموت والاستعداد له، الحديث رقم (٤٢٦٠) بلفظ «الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَتَّى عَلَى اللَّهِ» والترمذي في «سننه» (٦٣٨/٤) الحديث رقم (٢٤٥٩) وقال: حديث حسن صحيح.

وعن الحسن وابن سيرين قالوا: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»^(١).
 «إنهم يُغْلَفُونَ الكلمات تماماً كما تُغْلَفُ معامل الأدوية المواد المُرَّة بالسُّكَّرِ لِتَبَلَّعَهَا الحلو»^(٢)، فإلى المُخْلِصِينَ في وزارات الإعلام، وإلى المسؤولين في وزارات التربية في دول عالمنا الإسلامي، إلى مديري الإذاعات والتلفاز نقول:

بعدما رأيتم أن الهوى هو المعاصي والمحارم، وهو نقيضُ الشرع الحنيف، فلماذا تستمرون بِبَيْتِهِ في وسائل الإعلام وقد بان خطره الأخلاقي والاجتماعي في تربية النفوس والأفراد والمجتمعات، لماذا تستمرون بمحاربة الله ورسوله؟... إنكم تُفْسِدُونَ الأجيال، تُفْسِدُونَ الذكور، تفسدون الإناث ومن بعدهم الحياة.

ألا تتأثرون بما يجري في عالمنا الإسلامي المعاصر من ذُلِّ وانكسار لامتلائه بأصحاب الأهواء والشهوات التي تبثها إذاعاتكم في قلوب الناشئة المسلمة؟!... وكل ذلك وراء تحصيل المال والثروات الباطلة المحرمة! وقد قال ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ والدَّزْهَمِ»^(٣).

إن دوركم هو أسمى من ذلك وقد وضعكم الله في مسؤولية القرار، إنه دور البناء والتوعية والتوجيه. إن أعداء هذا الدين يتغلَّبون أصحاب الأهواء وطلاب الرياسة والجهل أتمَّ استغلال، واضعين أصحاب هذه النفوس المريضة في السلطة، يُزَكِّونها بنار المصالح الشخصية للابتعاد عن مصالح المسلمين العامة والخاصة، فيوسعون انشقاقاتهم لِضَعْفُوا، ويفجرون صراعاتهم في الأوقات العصيبة الحرجة التي يضعونها فيهم ويختارونها لهم.

ولعلَّ هذا هو الزمان الذي تحدث عنه الإمام علي كرم الله وجهه حين قال:

«يأتي على الناس زمانٌ لا يبقى مِنَ الإسلامِ إلا اسمه، ولا مِنَ القرآنِ إلا رسمه، يُعَمَّرُونَ مساجدهم وهي من ذكر الله خرابٌ، شَرُّ أهلِ ذلك الزمانِ علماءُهم، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود»^(٤).

فَحَرِيٌّ رجال الإعلام الاستيقاظ من السبات مع ابتداء الصحوَّة الإسلامية التي بدأت معالمها تظهر في الأفق للتصدي لمشكلة الأهواء الخطيرة وآثارها في بناء السلوك بمنع بث هذه الأغاني المفسدة لما يترتب عليها من نتائج ضارَّة في هَدْمِ المجتمعات التي يسجلها لنا التاريخ الحديث.

(١) رواه الدارمي في «السنن» (١/١١٠).

(٢) عبد الرحمن حسن حبكة «غزو في الصميم» الصفحة (١٧٣) الأغنية والنشيد. وانظر «ضوابط الأغنية في الإسلام» ستأتي في الصفحة (٣١٥).

(٣) رواه البخاري في «الصحیح» (١/٨١)، (٥٦) - كتاب الجهاد، (٧٠) - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، الحديث رقم (٢٨٨٦) و (٢٨٨٧)، و (٢٥٣/١١)، (٨١) - كتاب الرقائق، (١٠) - باب ما يتقى من فتنة المال وقول الله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾، الحديث رقم (٦٤٣٥)، ورواه ابن ماجه في «السنن» (١٣٨٦/٢)، (٣٧) - كتاب الزهد، (٨) - باب في المكثرين، الحديث رقم (٤١٣٥).

(٤) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٢٨٠/١٢).

قال تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ كِذِبًا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ آلِهَتِنَا لَسَادًا أَعْبَدُوا الذُّلُومَ ﴾ (١) فَسَنُيَسِّرُهُمَا لِلَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الْيُسْرَىٰ وَأَوَّلَهُمْ شِسْرًا وَالْآخِرِينَ أَجْدَدًا ﴿٢﴾ .

في آخر أغنية لأكبر موسيقار مصري تحت عنوان «من غير ليه»:

فساد عقائدي ...

ولهو ...

ولعب ...

ضياح وكذب بمثل ما وصفه به الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «أحسن الشعر أكذبه» (٣):

چاين لِّلذُّنْيَا مَا نِعْرِفْشِ لِيَهْ وَلَا رَائِحِينَ فِينْ وَلَا عَايِزِينَ إِيَهْ (٤)
مَشَاوِيرُ مَرْسُومَةٍ لِخَطَاوِينَا نَمَشِيهَا فِي عُزْبَةٍ لِيَا لِينَا

ثالثاً: الغناء الماجن يدعو إلى لعب النرد (الطاولة) ولاعبُ النرد لا تُقبل صلواته:

يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ (٥) ثُمَّ قَامَ لِيُصَلِّيَ كَمَنْ تَوَضَّأَ بِالْقَيْحِ (٦) وَالصَّدِيدِ (٧) وَالدَّمِ ثُمَّ قَامَ لِيُصَلِّيَ، وَوَاللهُ إِنَّ مَفْسَدَةَ الْغِنَاءِ أَعْظَمُ مِنْ مَفْسَدَةِ النَّرْدِ بِكَثِيرٍ .

ثبت في «مسند» الإمام أحمد (٨)، و«صحيح» مسلم (٩)، و«سنن» أبي داود (١٠)،

(١) تَبَسَّلَ: أَي تَوَخَّذَ.

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٧٠).

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني «فتح الباري» (١٠/٥٣٨).

(٤) ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد حدّد لنا الهدف من هذه الحياة فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٥) لعبة وضعها أحد ملوك الفرس وهو ما يسميه الناس اليوم (طاولة الزهر وغيرها). انظر «الموطأ» للإمام مالك (٢/٩٥٨)، قال العلماء: النردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرّب، وشير معناه حلو. راجع «صحيح مسلم» (٤/١٧٧). ومن ذلك: لعبة البرجيس واللعب بالورق (أي الشدة كما تسميها العامة).

(٦) وهو المدة التي لا يخاطها دم. تقول: (فَاحَ) الْفَرْحُ. «القاموس المحيط» للفيروزآبادي الصفحة (٣٠٣) مادة (فَاحَ). و مختار الصحاح» للرازي الصفحة (٥٥٩).

(٧) وهو ماء الجُرْحِ الرقيق، والحميم أغلي حتى كثُر. الفيروزآبادي «القاموس المحيط» الصفحة (٣٧٣) مادة (صَدَد).

(٨) الإمام أحمد «المسند» (٤/٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦١).

(٩) أخرجه مسلم في «الصحيح» بلفظه (٤/١٧٧٠)، (٤١) - كتاب الشعر، (١) - باب تحريم اللعب بالنردشير الحديث رقم (٢٦٦٠).

(١٠) أبو داود «السنن» (٤/٢٨٥)، كتاب الأدب، باب في النهي عن اللعب بالنرد، الحديث رقم (٤٩٣٨) و(٤٩٣٩).

و «سنن» ابن ماجه^(١) عن سليمان بن بُريدة، عن أبيه بُريدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «من لعب بالنُردِّشِير، فكأثما غَمَسَ يَدَهُ في لحم خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

وفي لفظ: «مَنْ لَعِبَ بالنردشير فقد عَصَى الله ورسوله».

وفي رواية للإمام أحمد^(٢)، وأبي يعلى^(٣)، والطبراني^(٤) بِسَنَدٍ يَتَّقَوْنَ بالأحاديث المُتَقَدِّمَةِ: «مَثَلُ الَّذِي يَلْعَبُ بالنُردِّ ثم يقومُ وَيُصَلِّي، كَمَثَلِ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بالِدَّمَ والقَيْحِ ثم يقومُ وَيُصَلِّي».

وفي رواية أبي يعلى: «لا تُقبلُ صلاته».

فكيف سيكون حالك يا أخي إذا كنت تجلس على الغناء، فإذا حانت صلاة العشاء جئت لتصلي؟ إنَّ مفسدة الغناء أعظم من مفسدة النُردِّ بكثير، وإذا لعبَ بالنُردِّ، لا تُقبلُ صلاته، كيف سيكون حاله إذا استمع إلى الغناء الذي يدعو إلى النُردِّ؟!... على حدِّ تعبير المغنية:

قوم تَنَلَعِبُ باضِرَّهُ والشاطر ياخُودُ باضِرَّهُ
واللي ييغَلِبُ يا حُجُوبُ بَدُو يمشي بِالمَقْلُوبُ
مَنْ البُرُجُ لِلنَّاصِرَةِ

* * *

(١) ابن ماجه «السنن» (١٢٣٧/٢)، (٣٣) - كتاب الأدب، (٤٣) - باب اللعب بالنرد، الحديث رقم (٣٧٦٢) و(٣٧٦٣).
(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٢/٥، ٣٥٧، ٣٦١).
(٣) رواه أبو يعلى الموصلي في «المسند» (٣٥٦/٢) الحديث (١١٠٤ و ١١٥٠).
(٤) رواه الطبراني في «المعجم» ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٣/٨).

هذا غناء يُغْلِغُ في إذاعات عالمنا الإسلامي.

هذا حالُ الغناء، دَعْوَةٌ إلى الفحشاء وِقْلَةٌ الحياء، ولذلك كل مَفْسَدَةٍ أصلها الغناء.

رابعاً: ولَمَّا بُثِّلِينَا بسماع طوفان الأغاني المحرّمة، هَجَرْنَا القرآن الكريم، المصدر الأول للتشريع الإسلامي:

فَسَمَاعُ الأغاني الماجنة يملأ القلب بالباطل، واللهو، والهوى، والغفلة، فيفرغ من كلام الحق. إنها الغفلة بحب الدنيا. ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾^(١)

واقعتنا خير دليل، أعلننا الحرب على الله ورسوله في وسائل إعلامنا، فأصبح القرآن الكريم يتيماً في زوايا بيوتنا وجزءاً من الأثاث، يُذَرِكُ الواحدُ مِنَّا عند سماع تلاوته وجود ميت في حَيِّهِ أو جيرانه أو بين أهله، فيسمعه دون تدبُّرٍ لمعانيه، وكأنه غريبٌ عنا بألفاظه ومفرداته، يصعبُ علينا فهمه في مجالس العزّاء، بل إن لغتنا العربية الجميلة أصبحت مجهولة في نفوسنا في هذا الزمن اللعين^(٢)، وهذا عكس ما عكف عليه سلفنا الصالح.

أراد أعرابيٌّ تَعَلَّمَ دينه في زمن الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد، فطلب من الإمام الأصمعي إمام اللغة في البصرة أن يقرأ عليه، فقرأ حتى قوله: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يُؤَعَّدُونَ ﴾^(٣) فتوقفه الأعرابي قائلاً: كَفَى، ثم نَحَرَ جَزُورَهُ (أي إبله) قائلاً: طالما الرزق من عند الله، وطلب من الإمام الأصمعي أن يُعِينَهُ على توزيعها، ففَرَقَهَا على مَنْ أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، ثم وَلَّى إلى البادية.

وبعد مرور سنين، اجتمع الرّجُلان في موسم الحجّ، وكان الأصمعي يحجُّ مع الرشيد، فبينما كان الأصمعي يطوف التّفَتَ فإذا بالأعرابي صاحبه وهو ناحل مُصَفَّرٌ، فسَلَّمَ عليه وأخَذَ بِيَدِهِ وقال: ائْتِ عَلَيَّ كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام، فقرأ: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ حتى وَصَلَ إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُم نَطِقُونَ ﴾^(٤)، فانفعل الأعرابي وصاح: مَنْ الذي أَعْضَبَ الجليل حتى حَلَفَ! أَلَمْ يُصَدِّقُوهُ في قوله حتى أَلَجَّوهُ إلى اليمين؟ فقالها ثلاثاً وخرجت بها نفسه^(٥).

خَرَّ صَاعِقًا ومات من تأثره لِمَا في الآية من تأكيدات للحقّ، وأنه منزل من الله وهي خمس:

(١) سورة الفرقان، الآية: (٣٠).

(٢) انظر أعمال الغزاة ضد اللغة العربية، ومحاربة الاستعمار للعربية الفصحى، والدعوى إلى نشر العاميات واعتبارها لغة العِلْمِ والفنِّ والأدب في كتاب عبد الرحمن حسن حبنكة «أجنحة المكر الثلاثة» الصفحة (٣٤٦) وما بعدها، في سلسلة أعداء الإسلام.

(٣) سورة الذاريات، الآية: (٢٢).

(٤) سورة الذاريات، الآية: (٢٣).

(٥) انظر تمام القصة في القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٤٢/١٧).

- القَسَم ﴿قَوْرَبٍ﴾ .
- ﴿إِنَّهُ﴾ حرف توكيد ونصب .
- ﴿لَحَقُّ﴾ اللام المزحلقة .
- ﴿مِثْلَ مَا﴾ تشبيه .
- ﴿أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ شبه مؤكد .

خَرَّ صَاعِقًا ومات من تأثره! ونحن اليوم نسمع الآيات الطوال والأجزاء والأحزاب في القرآن، ولكن مَنْ يَتَأَثَّرُ؟

بعض أمتنا يُصَلُّون صلاة التراويح في مساجد بيروت، والقرآن مفتوح أمام أعينهم لِقَلَّةِ حفظهم، وعدد المشتركين اللبنانيين لمسابقة حفظ القرآن الكريم التي تُجرى سنوياً في المملكة العربية السعودية لا يتعدى عدد الأصابع!

أجيالنا، كم تحفظ من القرآن بوجود «التلفاز» والمذياع اللذين يُلغِّعان بأصوات الغناء من الساقطين والساقطات والشناعات والبليات، قلوبٌ فاسِدة «الغناء مَفْسَدَةٌ للقلب، مَخْطَةٌ للرب» .

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوماً ويضع آخرين»^(١) ولعلنا من الذين وَضَعَهُمُ اللهُ في هذا الزمان . وعن سيدنا عَلِيِّ كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول (متحدثاً عن القرآن):

«ما مِنْ جَبَّارٍ تَرَكَهُ (أي القرآن) إِلَّا قَصَمَهُ اللهُ، وَمِنْ أُنْتَعَى الْهُدَى بِغَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ»^(٢) .
وما أَصْدَقَ الشَّاعِرِ حِينَ قَالَ:

لَكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهٍ لَاهِي	تُلِي الْكِتَابُ فَأَطْرَقُوا، لَا خِيْفَةَ
وَاللَّهِ مَا رَقَصُوا لِأَجْلِ اللَّهِ	وَأَتَى الْغِنَاءُ فَكَالْحَمِيرِ تَنَاهَقُوا
فَمَتَى رَأَيْتَ عِبَادَةَ بَمَلَاهِي	دُفٌّ وَمِزْمَارٌ وَنَعْمَةٌ شَادِنِ
تَقْيِيدِهِ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي ^(٣)	تُقَلَّ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا

إن ما يجري لأولادنا اليوم هو عكس ما كان عليه سلفنا الصالح .

هذا الإمام شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) قد

(١) رواه مسلم في «الصحیح» (٥٥٩/١) برقم (٢٦٩)، وابن ماجه في «السنن» (٧٩/١) برقم (١٢٨)، وأحمد في «المسند» (٢٢٧/٢)، والدارمي في «السنن» (٤٤٣/١).

(٢) رواه الدارمي في «السنن» (٤٣٥/٢) والترمذي في «السنن» (١٧٢/٥) حديث رقم (٢٩٠٦) وقال: إسناده مجهول، فالحديث ضعيف.

(٣) انظر القصيدة بطولها عند ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢٢٥/١).

أَكْمَلَ حِفْظَ الْقُرْآنِ وَلَهُ تِسْعَ سِنِينَ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ التَّرَاوِيحَ بِمَكَّةَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى جَرِي الْعَادَةِ وَقَدْ أَكْمَلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً عَامَ (٧٨٥) (١). وَهَا هُوَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ، زَيْنُ الدِّينِ، عَبْدُ الرَّحِيمِ (ت ٨٠٦هـ) حَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ (٢).

فِيهَا أَيُّهَا الْمَغْنُونُ وَالْمَغْنِيَاتُ الْمَسْرُفُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، تَذَكَّرُوا قَوْلَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْيَتِيمِ الْخَرِبِ» (٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلَيْسَ تَاجِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيْتِ الدُّنْيَا، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ هَذَا» (٤). وَرَحِمَ اللَّهُ سَيِّدَنَا عَثْمَانَ حِينَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا» (٥).

خَامِسًا: الْغِنَاءُ الْمَاجِنُ يُنْبِتُ التَّفَاقُ فِي الْقَلْبِ:

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْغِنَاءُ يَنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ» (٦).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنِ الْغِنَاءِ: «لَا يَعْجِبُنِي لِأَنَّهُ يَنْبِتُ النِّفَاقَ» (٧).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى كَلَامِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ فِي كِتَابِهِ «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ» (٨): «هَذَا أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ وَفِقْهِهِمْ فِي أَحْوَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِهَا، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِأَدْوِيَّتِهَا وَأَدْوَانِهَا، فَهَذَا كَلَامٌ عَارِفٍ بِأَثَرِ الْغِنَاءِ وَثِمَرَتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا اعْتَادَهُ أَحَدٌ إِلَّا نَافَقٌ، فَهُوَ وَالْخَمْرُ رَضِيْعَا لِبَانٍ، فَالْغِنَاءُ يُهَيِّجُ عَلَى الْقَبَائِحِ كَسَائِرِ الْمَهِيْجَاتِ، وَعَلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَلِذَلِكَ يَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ».

وَإِذَا ابْتَعَدَ الْإِنْسَانُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَشَعَشَ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ فَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَسْعَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّتَكَ جَزْبَ الشَّيْطَانِ إِلَّا أَنْ جَزَبَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَلْتَمُورُونَ﴾ (٩).

(١) ابن حجر العسقلاني «رفع الأصر عن قضاة مصر» الصفحة (٨٥) وما بعدها وهو يترجم لنفسه.

(٢) محمد بن الحسين العراقي الحيني «البصرة والتذكرة» (١٠/١) من المقدمة.

(٣) رواه الترمذي في «السنن» (١٧٧/٥)، (٤٦) - كتاب فضائل القرآن، باب (١٨)، الحديث رقم (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح. والحاكم في «المستدرک» (٥٥٤/١) وأقره الذهبي في «التلخيص».

(٤) رواه أبو داود في «السنن» (٧٠/٣)، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، الحديث رقم (١٤٥٣)، وأحمد في «المستد» (٤٤٠/٣).

(٥) البيهقي «الأسماء والصفات» الصفحة (١٨٢)، وأخرجه أحمد في «الزهد» وابن عساكر رضي الله عنه. كذا في «الكنز» وذكره الكاندهلوي في «حياة الصحابة» (٢٨٦/٣).

(٦) اختلف في صحة الحديث رفعا ووقفاً. راجع الملحق بآخر الرسالة: جدول الأحاديث الضعيفة المتعلقة بالغناء، وعلى فرض صحته فهو محمول على الغناء الماجن الذي لا خلاف في تحريمه.

(٧) أبو الطيب الطبري «الرد على من يحب السماع» الصفحة (٣١)، ونقل عنه ابن القيم الجزوية في «إغاثة اللهفان» (٢٢٩/١ - ٢٣٠).

(٨) ابن القيم «إغاثة اللهفان» (٢٤٨/١).

(٩) سورة المجادلة، الآية: (١٩).

وهذا له أثر خطير على تنشئة أجيالنا، فإذا سَكَنَ النفاق في قلب أحدهم، وَعَشَّشَ الشيطان في نفوسهم فكيف سيكون حال عباداتهم؟ واتصالهم بالمجتمع من حولهم؟ وقد ذم الله النفاق والمنافقين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَذَا بِوَجْهِهِ وَهَذَا بِوَجْهِهِ»^(٢) ومن المعلوم أن اللعنة من الله هي عدم رحمته يوم الوقوف بين يديه وحيث تنقطع كل الصلات إلا الصلّة بالواحد القهار.

أولاً: خواص الغناء الماجن في صَنِغِ الْقَلْبِ بالنفاق:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فمن خواصّه - أي الغناء - أنه يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً لما بينهما من التضاد».

ثانياً: أعراض القرآن:

فإن القرآن: ينهى عن أتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومُجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي.

ثالثاً: أعراض الغناء الماجن:

والغناء يأمر بضدّ ذلك كله، ويُحَسِّنُه فيهيح النفوس إلى شهوات الغي، فيُثِيرُ كامنها ويحركها إلى قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مליحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهيجهما على القبايح فَرَسَا رهان.

فهو - أي الغناء - صنو الخمر ورضيعه، وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوسُ الْعَقْلِ يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدبُّ إلى محلّ التخيل، فيثير ما فيه من الهوى، والشهوة، والسخافة والرّعونة، والحماسة.

فبينما ترى الرجل وعليه سِمَةُ الْوَقَارِ، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا استمع الغناء ومال إليه: نَقَصَ عَقْلُهُ، وَقَلَّ حَيَاؤُهُ، وَذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ وَفَارَقَهُ بَهَاؤُهُ، وَتَخَلَّى عَنْهُ وَقَارُهُ، وَفَرِحَ بِهِ شَيْطَانُهُ، وَشَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِيمَانَهُ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ قُرْآنَهُ، وَاسْتَحْسَنَ مَا كَانَ قَبْلَ السَّمَاعِ يَسْتَفِيحُهُ، وَأَبْدَى مِنْ سِرِّهِ مَا كَانَ يَكْتُمُهُ، وَانْتَقَلَ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ إِلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ وَالْكَذِبِ

(١) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في «الصحیح» (٥٢٦/٦) في أول باب المناقب، الحديث رقم (٣٩٩٤)، ومسلم في «الصحیح» (١٩٥٨/٤)، (٤٤) - كتاب فضائل الصحابة، (٤٨) - باب خيار الناس، الحديث رقم (١٩٩) (٢٥٢٦).

فيميل برأسه، ويهزّ منكبيه، ويضرب الأرض برجلَيْهِ، ويدقّ على أمّ رأسه بيديه، ويذبّ وثبات الدّبّاب، ويدور دّوران الحمار حول الدّولاب، ويصّفّق بيديه تصفيق النّسوان، ويخور من الوجْد ولا كخوارِ الشيران.

وتارة يتأوّه الحزين، وتارة يزعق زعقات المجانين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فَدَعُ صَاحِبِ المَزمَارِ، وَالدُّفِّ، وَالعِنا وَوَدَعَهُ يَبعثُ فِي عَينِهِ وَضَلائِلِهِ وَفِي تَنتِنائِهِ^(١) يَحيَا وَيَبعثُ أَشْيِيا وَإِلَى الجَنَّةِ الحِمرَاءِ يُدعى مَقرِبا سَيَعَلَمُ يَومَ العَرضِ أَيُّ بِضَاعَةٍ

وقال بعضُ العارفين: السماع يُورثُ النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والفجور في قوم، والرّعونة في قوم.

وأكثر ما يُورثُ الغناء عَشقُ الصّورِ واستحسانُ الفواجِش.

وإدمانه يُثقلُ القرآن على القلب، ويكرهه إلى سماعه بالخاصية.

وإن لم يكن هذا نفاقاً، فما للنفاقِ حقيقة، وسرُّ المسألة أنه قرآنُ الشيطان فلا يجتمع هو وقرآنُ الرحمن في قلبٍ أبداً.

وأيضاً فإن أساس النفاق أن يُخالِفَ الظاهرُ الباطن وهذا محضُ النفاق.

وأيضاً فإن الإيمان قولٌ وعمل، قولٌ بالحقّ وعَمَلٌ بالطاعة، وهذا ينبتُ على الذّكرِ وتلاوةِ القرآن والنفاق قولُ الباطل وعملُ البغي، وهذا ينبت على الغناء.

ومن علامات نفاق المغني: قلةُ ذكرِ الله، والكسلُ عند القيام إلى الصلاة، ونَقْرُ الصلاة، وقَلَّ أن تجِدَ مفتوناً بالغناء إلّا وهذا وضعه.

وأيضاً النفاق مؤسسٌ على الكذب، والغناء من أكذب الشّعْرِ، فإنه يُحسّنُ القبيح، ويُرَيِّنُه، ويأمرُ به، ويُقبِحُ الحَسَنَ ويُرَهِّدُ فيه، وذلك عَيْنُ النفاق.

وأيضاً فإن المنافق يُفسدُ من حيث يظنُّ أنه يُصلِحُ.

تماماً كما قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ لَسُوا اللّٰهَ فَنسِيهِمْ إِنَّكَ الْمُنْتَفِقِينَ هُمُ الْفٰلْسِفُونَ﴾

(١) وقوله «تانتنا» و «تنتنا» هكذا بالأصل، وفي لسان العرب مادة (تأن): حكى ابن بري قال: تناءن الرجل الصيد إذا جاء من هنا مرّةً ومن هنا مرّةً أخرى وهو ضربٌ من الخديعة.

(٢) ابن القيم «الإغاثة» (١/٢٣٨).

[التوبة: ٦٧] وصاحب السماع يُفسد قلبه وحاله من حيث يظن أنه يصلحه، والمغني يدعو القلوب إلى فتنه الشهوات، والمنافق يدعوها إلى فتنه الشبهات.

ولهذا كله كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده يقول له:

«ليكن أوّل ما يعتقدون من أدبك بُغضَ المَلاهي، التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سَخَطُ الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العِلْمِ أنّ صوتَ المعازِفِ واستماعِ الأغاني، واللّهج بها، يُنبتُ النَّفاقَ في القلب كما يُنبتُ العُشْبُ على الماء^(١). انتهى كلام الإمام ابن القيم.

وأخيراً فإنّ أوضح علامة نفاق هي تبديل أسماء المطربين والمطربات، الماجنين والماجنات في هذا الزمان الفاسد لتضليل عباد الله، وصدّهم عن ذكره باللّهو والغفلة التي ربما تمتد سنين العمر فضيعة، فهم يتحلون لأنفسهم أسماء مستعارة، برّاقة يخدعون بها العامة والخاصة..

ثم تأمل معاني «الشحرورة» و«العندليب الأسمر» و«سلطان الطرب» و«ملك الألحان» و«شادية البادية» و«كوكب الشرق» و«العندليب الضاحك»...

وكلها ألقاب لمطربين ومطربات نسمعها كالطوفان في وسائل إعلام دولنا الإسلامية بوسائله المتعددة من راديو وتلفزيون وفيديو وأشرطة «كاسيت» يُصوّرنا لنا مجدداً وشهرةً يُضللّ الناس ويجرفها بتيّاره اللّاهي الفاسد.

هي النجوم... وأين منها نجم سيدنا خالد بن الوليد، سيفُ الله المسلول على المشركين، وأول عبقرتي عسكري إسلامي في التاريخ، أذهل الشرق والغرب.

(١) ابن القيم الجوزية «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/٢٤٨ - ٢٥٠) بتصرّف.

سادساً: الغناء الماجن رُقِيَة الزنى:

متى يَزْنِي الإنسان يا إخوتي المؤمنين؟ متى يَزْنِي؟

إذا اشتغل بكلام الله عز وجل وكلام النبي ﷺ وأدى الصلاة وأتقى الله... يَزْنِي؟!!

ولكن عندما يسمع ما يُحَرِّك الحَجَرَ لا البَشْر، كيف سيكون حاله؟ سيبحث عن فلانة أو فلانة أو يشذَّ وَيَنْحَرِف، وواقع الأمر كذلك.

كيف سيكون حالُ الإنسان عندما يسمع مثل أغنية:

مِيلِي عَلَيَّ مِيلِي مِيلِي يَا الْمَرْنَارِ الثَّلِي

أو عندما يسمع:

لَمَّا بِنَهْرِي خَصْرِكِ الدِنْيِي كُلِّهَا يَتَزَخَصَلِكِ

أو:

هِي يَا نَوَاعِمِ خَصْرِكِ الحَرِيزِ وَخَلِّي الشَّعْرِ النَاعِمِ مَعَ الهَوَا يَطِيرِ

كيف سيكون حال الناس إذا سمعوا هذا؟ سيبحث عن واحدة لتميل عليه أو يميل عليها، وَيَغْلِي دمه من نار الشهوة وبراكين وحمم الرغبات الجِنْسِيَّة. فالغناء هو الطريق الموصل إلى الزنى.

فمن استمع إلى هذه الأغنية:

لا تقصِي التَوْرَةَ كَتِيرَ ولا تعلِيهَا بِالْمَاءِ
ولا تَشْدِي عَالِخَصْرِ كَتِيرَ بتفجر قنبلة الذَّرِّه

ماذا سيجري له؟

ثبت عن شيخ الإسلام في زمانه، أبي علي، الفُضَيْل بن عِيَاض، إمام الحرم المكي في عهد التابعين (ت ١٨٧هـ) أنه قال: «الغناء رقية الزنى»^(١). وقال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله «ليس في رُقَى الزنى أَنْجَعُ من الغناء»^(٢) أي جميع طرق الزنى، لا يوجد طريق منها يوصلك إلى الفاجحة وارتكاب ما حَرَّمَ الله إِلَّا الغناء وهذا كلام خبير.

(١) السيوطي «الدر المنثور» (١٥٩/٥)، وابن الجوزي «تلبس إبليس» الصفحة (٢٣٥)، والغزالي «إحياء علوم الدين» (٢٨٣/٢).

(٢) ابن قيم الجوزية «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (٢٤٥/١).

قال يزيد بن الوليد وهو آخر حكام بني أمية في الدولة المروانية (ت ١٢٦هـ) مخاطباً أمته ومحدّراً إياها:

«يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه يُنْقِصُ الحياء ويَهْدِمُ المروءة، ويزيد الشهوة، ويُنَوِّبُ عن الخمر، ويفعل ما يفعله المُكْرَر... فإن الغناء رقية الزّنى»^(١). حتى لا تزني نساؤكم.

ونزلَ الحُطَيْطَةُ الشاعر ومعه ابنته مُلَيْكَةُ برجل من العرب، فلما جَنَّهُ الليلُ، سمع غناءه، فقام الحُطَيْطَةُ مع ابنته بعد أن نزلا عليه ضَيْفَيْنِ في سَفَرٍ، فَغَضِبَ صاحب البيت وقال: منِ اغْتَدَى عليكما؟ وماذا رأيت مِنِّي حتى خرجت من ضيافتي؟ قال الحُطَيْطَةُ: إِنَّ الغناء رائدٌ من رادةِ الفجور، ولا أريد أن تسمعه هذه - يعني ابنته - إما أن تسكت وإما أن أخرج». أما وأنت في البيت تغني، كيف سيكون حال هذه المرأة؟ ولا ريب أن كل غيُور يُجَنَّبُ أهله سماع الغناء كما يجنبهنَّ أسباب الرّيب»^(٢). قال ابن القيم رحمه الله: «من طرّق (أي أوصل) أهله إلى سماع رُقية الزّنى، فهو أعلم بالإثم الذي يستحقّه، ومن المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل، حاول أن يُسْمِعَهَا الغناء، فُتْعَطِي عندئذِ اللَّيَّان» هذا حال شبابنا وبناتنا اليوم في الحفلات الموسيقية التي يقيمونها في مناسباتٍ عِدَّة، والعاقِل يتأمّل، والطَّيِّب يستنكر، لكن عجلة الدولاب لا تقف، لا بُدُّ من السير وراء الغرائز والشهوات. وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات، فإذا كان الصوت بالغناء، صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت ومن جهة معناه، ولهذا قال النبي ﷺ لأنجشة حاديه (أي سائق إبله بالغناء): «يا أنجشة، رُوَيْدُكَ، رَفَقاً بالقوارير»^(٣) (أي النساء شبههن بالقوارير جمع قارورة لرِقْتِهِنَّ خوفاً من السقوط عن الإبل من شدة حركاتها عندما تنفعل وتتأثر بالغناء أو خشية الفتنة).

صَرَحت إحدى المطربات لبعض الإذاعات العربية المشهورة في رمضان ١٩٨٨ م أنها تزوجت رسمياً (٦) مرات دون العلاقات المستورة، واستهجنّت الحملة الإعلامية عليها قائلة: لماذا وحدي فقط؟ ومن أراد الاطلاع على مزيد من فضائح الزّنى والفساد بين صفوف المطربين والمطربات، فالمجلات «الفنية» مليئة بها.

فلعمر الله، كم من حُرَّةٍ صارت بالغناء من البغايا، وكم من حُرٍّ أصبح به عبداً للصبيان

(١) البيهقي «شعب الإيمان» (٢٨٠/٤) حديث رقم (٥١٠٨ مكرر)، ابن الأثير «الكامل في التاريخ» (٢٨٩/٥) - (٢٩٠)، وعلي حسن عبد الحميد «موارد الأمان المتقى من إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان لابن القيم» الصفحة (٣١٨).

(٢) البيهقي «الشعب» (٢٨٠/٤) الحديث رقم (٥١٠٩)، ابن قيم الجوزية «إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان» (٢٤٦/١) والغزالي «إحياء علوم الدين» (٢٨٣/٢).

(٣) ابن حجر «فتح الباري» (٥٥٢/١٠) و(٥٣٨/١٠)، ومسلم في «الصحیح» (١٨١١/٤) برقم (٧١)، والمازري «المعلم بفوائد مسلم» (١٢٧/٣).

أو الصبايا، وكم من غيورٍ تبدّل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا.

ولذلك كثرت نسبة الزنى في بلاد الإسلام، بالغناء، بالرقص، بالحفلات، بالطلب والدربة وهز الخصر، ما ظهر لهم واحد وليس ألف من مليون، وما استتر أعظم وأعظم، لِمَ؟.. وقد تحدّثت وسائل الإعلام عن ظهور إصابات بمرض الإيدز والسيدا في بلادنا الإسلامية: في الكويت، في مصر، في لبنان، ولماذا؟ لأن الإنسان إذا عتّى زنى، وإذا لم يتيسّر له تمّتى، إذا عتّى الإنسان زنى، شاء أم أبى، فامرأة تسمع الغناء ماذا سيكون حالها؟ وماذا سيكون شأنها؟ والفضائح التي نسمعها في هذه الأيام يندى لها جبين الإنسان.

قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١).

ذكرت لي إحدى الفتيات الشابات الحسنات التي اشتركت في أحد برامج الفن الرسمي الذي كان يبثه التلفزيون في السبعينات، وكان عمرها (١٧) سنة حين ذاك، بعد نجاحها في العزف، أنها تلقت مخابرات كثيرة من المدراء والمسؤولين لارتكاب ما حرّم الله مقابل فرص الشهرة والمجد.

أما «مجلة ميوزيك» فقد ذكرت «أن المعجبات المراهقات هجمن على المغني الفرنسي جوني هوليداي وألقينه على الأرض وهو يغني»^(٢) هذا وقد ذكرت إحدى المجلات الأسبوعية العربية أن إحدى المطربات العربيات وافقت على خلع ثيابها أمام الجمهور في منتصف ليل رأس السنة الميلادية عام ١٩٩١م في إحدى حفلاتها الغنائية في مدينة عربية، لقاء مبلغ عشرة آلاف دولار أميركي.

تقول مجلة ميوزيك الغنائية أيضاً في معرض حديثها عن ملك الروك أليس برسلي:

«للملك قيافة مرغوبة من الفتيات، وشكله جذاب إلى حد كبير، فهو عندما يغني يتراقص على المسرح حتى ليخيل إلى جمهوره وكأنه غارق معهم في نشوة الحب يمارسه معهم، فترى الفتيات والنساء يترنحن أمامه من النشوة وشدة الهيام ويُطلقن صيحات الإعجاب»^(٣).

وكيف سيكون حال أجيالنا عندما يُشاهدن رقص إحدى الفرق الراقصة، المثير للغرائز،

(١) رواه ابن ماجه في «السنن» (١٣٢٢/٢) برقم (٤٠١٩).

(٢) «مجلة ميوزيك» العدد (٢٠) عام ١٩٧٤م، الصفحة (٢١).

(٣) «المصدر نفسه» العدد (٧٩) عام ١٩٧٤م، الصفحة (١٧).

والراقصة في الفيلم المصري؟! وبرامج الأغاني الأميركية المحمومة بالراقصات؟
وقد اعترفت صراحة إحدى المطربات بعلاقتها مع أكبر موسيقار مصري كبير في «مجلة
الحساء»^(١) وهي تقول: الأخلاق تمنع الفنان من الوصول للنجاح!

«فَسَلْ ذَا خِبْرَةَ يُنْبِيكَ عَنْهُ لِتَعْلَمَ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا
وَحَاذِرْ إِنْ شَغَفْتَ بِهِ سِهَاماً مُرِّيْشَةً بِأَهْدَابِ الْمَنَايَا
إِذَا مَا خَالَطْتَ قَلْباً كَثِيْباً تَمَرَّقَ بَيْنَ أَطْبَاقِ الرَّزَايَا
وَيُصْبِحُ بَعْدَ أَنْ كَانَ حُرّاً عَفِيفَ الْفَرْجِ: عَبْدًا لِلصَّبَايَا
وَيُعْطَى مَنْ بِهِ يُغْنِي غِنَاءً وَذَلِكَ مِنْهُ شَرُّ الْعَطَايَا»^(٢)

(١) «مجلة الحساء» اللبنانية العدد (١٤٨٠ - ١٤٨١) عام ١٩٩١ م.

(٢) ابن القيم «الإغاثة» (١/٢٤٧).

سابعاً: الغناء الماجن منبع البلاء من شرب خمر، ومتاجرة بالمخدرات وإفساد الأمة وتأجيج الشهوات:

ما رأينا حافظاً للقرآن أُبْتَلِيَ بِزَنَى ولا بشرب خمر ولا بمتاجرة بالمخدرات، إنما هؤلاء الذين يُحَرِّضُونَ على هذا هم أهل الغناء، فالغناء منبع البلاء، وابتحوا عن أهل الجرائم وتحزوا وأحوالهم

فإذا أردنا القضاء على البلاء، فيجب قطع رقاب المغنين والمغنيات الفاجرين والفاجرات، فهم الذين يُفسدون الأمة، ويؤججون الشهوات في القلوب وفي النفوس.

السجود على أقدام إحدى المغنيات:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

«وقد رأينا أن الإنسان إذا استمع الغناء، مالَ برأسه، وهَزَّ منكبيه، وَصَرَبَ الأرض برجلَيْه، ودقَّ على أُمِّ رأسه بيديه، وبدأ يَثْبُثُ وثبات الدَّباب . . .»^(١).

وانظر لمغنية عندما تنتهي من أغنياتها، ماذا يحصل من ضجيج من قبل المستمعين

هذا يحصل: صفيق وتصفير وصراخ لإعادة مقاطع الأغنية، حتى أن أحد العرب خزَّ ساجداً تحت أقدام مغنية عربية في حفلتها التي أقيمت في باريس في فرنسا في الستينات، هذا ما رأيناه بأنفسنا على شاشة التلفزيون الفرنسي القناة الثانية، ولم يخبرنا عنه أحد

هذا حالُ الغناء . . . ما يسمعه إنسانٌ إلا فَسَدَ قلبه، مسخطةٌ للرب، مَفْسَدَةٌ للقلب، وإذا فَسَدَ قلبك يا أخي، وسخط عليك ربك، فماذا ينتظر منك إلا الشقاء لنفسك ولأمتك.

ثامناً: جرائم القتل:

ذكرت جريدة النهار اللبنانية أن عدد الجرائم في الولايات المتحدة الأميركية بلغ (٢٥,٠٠٠) جريمة لعام ١٩٩٢م أي بمعدل (٦٨) جريمة يومياً تقريباً للمجتمع الذي تملؤه الأغاني وشرب الخمر والغناء والزنى^(٢).

وذكرت الصحف الإنكليزية أن المغني المشهور جون لينون JOHN LÉNON اغتيل رَمِيّاً بالرصاص بعدة طلقات نارية، قيل: في حادثة سرقة مالية مريبة، وأنه مُنِعَ من إقامة حفلاته الغنائية في أحد أندية لوس أنجلوس الأميركية لتعاطيه المخدرات وسوء سلوكه، وأنه مُنِعَ من التردد إلى موطنه إنكلترا إلا بقيود لأنه اتهم عام ١٩٦٨م بإدمان العقاقير المُخَدَّرَة، وقد وَجَّه نجم الخنافس THE BEATLES الإنكليزي نداءً عبر موجات راديو لوكسمبورج إلى ملكة إنكلترا كي تسمح له بالعودة إلى بلاده^(٣).

(١) ابن قيم الجوزية «إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان» (٢٤٩/١).

(٢) «جريدة النهار» مطلع شباط عام ١٩٩٢م.

(٣) «مجلة ميوزيك اللبنانية» العدد (٦٧)، عام ١٩٧٤م.

تاسعاً: الغناء الماجن وجرائم الخطف:

وأوردت الصحافة الفرنسية عام ١٩٧٩ م أنه تم اختطاف والد المغني الإسباني المشهور خوليو إيغلاسياس الذي بلغت ثروته رقماً قياسيماً من المال من تجارة الغناء وأن الخاطفين طلبوا من المغني المذكور فديةً قيمتها مليون دولار أميركي لإطلاق سراح والده.

عاشراً: الغناء الماجن وتعاطي المخدرات:

وذكرت محطة H.B.O^(١) (HOME BOX OFFICE) أن الفرقة الأميركية آيارو سميث «AÉROSMITH» اعترفت علناً وصراحةً بعدم قدرتها على إقامة حفلات غنائية لها في العالم خارج الولايات المتحدة الأميركية، خوفاً من الجمارك التي تُصادر المخدرات التي يتعاطاها أصحاب هذه الفرقة. وكان اللذة الحاصلة من الغناء لا تكفيهم، فيحثون عن لذة وإهمة، قُصوى، مُدمّرة هي الإدمان.

أما ملك الغيتار الأميركي في السبعينات جيمي هندركس، فقد هلك عام ١٩٧١ م بسبب حقنه كمية كبيرة من الهيروين^(٢) (OVER DOSE).

وانظر إلى موت ملك الروك أند رول الأميركي ألفيس برسلي ELVIS PRESELY الذي أصيب بمرض الكبد نتيجة علاجه بالستيروبيد، وموت الملحن المصري والموسيقار المشهور الذي تمجده إذاعاتنا في الدول العربية الذي توفي بالكوكايين COCAINE.

وكذلك المغني الجامايكي پوپ مارلي «BOB MARLY» الذي قضى هو الآخر بالمخدرات.

(١) وهي إحدى محطات التلفزيون الأميركي وذلك عام ١٩٩١ م.
(٢) «مجلة ميوزيك اللبنانية» العدد (٣٢)، الصفحة (٣٠) عام ١٩٧٣.

حادي عشر: الغناء الماجن كُنِبَ خَيْبٌ لِلْمَالِ الْحَرَامِ ثِرْوَاتِهِ بَاطِلَةٌ لَا يُتَصَدَّقُ مِنْهَا وَتُدْخَلُ مَكْتَبَهَا النَّارُ:

وقد اتفق الجمهور الفقهاء على حرمة.

١ - فمن الشافعية: قال الإمام الشيرازي في «المهذب في فقه الإمام الشافعي»^(١): ولا تصح يعني الإجارة على منفعة مُحَرَّمَةٌ كَالْغِنَاءِ وَالزَّرْمِ.

وقال الإمام النووي في «روضة الطالبين»: «أَنْ يُعْنَى بِبَعْضِ آلَاتِ الْغِنَاءِ، بِمَا هُوَ شِعَارُ شَارِبِي الْخَمْرِ وَهُوَ مَطْرَبٌ، كَالطَّنْبُورِ وَالْعُودِ وَالصَّنْجِ وَسَائِرِ الْمَعَازِفِ وَالْأُوتَارِ، يَحْرَمُ اسْتِعْمَالُهُ وَاسْتِمَاعُهُ»^(٢).

٢ - ومن الحنابلة: فَوَّتَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَرَكَّةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَكَانَتْ جَارِيَةً مَغْنِيَةً^(٣).

٣ - وأما مالك فقال: «إِذَا اشْتَرَى جَارِيَةً فَوَجَدَهَا مَغْنِيَةً كَانَ لَهُ أَنْ يَرُدَّهَا بِالْعَيْبِ، وَقَالَ عَنِ الْغِنَاءِ: إِنَّمَا يَفْعَلُهُ عِنْدَنَا الْفُسَّاقُ»^(٤).

٤ - وأما أبو حنيفة: فإنه «يكره الغناء ويجعله من الذنوب»^(٥).

فلا نعجب بعدها من الأمراض التي تصيبنا في هذا الزمان الفاسد، لكثرة الأموال المحرَّمة، والتي لم نكن نعرفها سابقاً، فكم من المواليد يُولدون بقلوبٍ مثقوبة، وكم من الأمراض يُبتلى بها الكافة لم تكن في السابق معروفة، كالإيدز، وكل ذلك بسبب الفواحش والمنكرات، والسير وراء الغرائز والشهوات التي سببها المغنين والمغنيات والساقطين والساقطات. ومن المعلوم أن المال الحرام لا يُدْخَلُ صاحبه الجَنَّةَ.

قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ من الشُّحْتِ»^(٦) (أي المال الحرام). فهو لا يُتَصَدَّقُ مِنْهُ وَلَا يَبَارِكُ فِيهِ. قال عليه السلام: «لا يكتسب عَبْدٌ مَالاً حَرَاماً، فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ فَيَبَارِكُ فِيهِ، وَلَا يَتْرِكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ...»^(٧) الحديث. وقد عرفنا أن أَحَدَ الْمَغْنِينِ الْمَاجِنِينَ فِي بَيْرُوتٍ قَدْ تَصَدَّقَ مِنْ أَمْوَالِهِ لِإِنْشَاءِ مَدْرَسَةٍ؟! يقول عبد القادر عطا في كتابه «هذا حلال وهذا حرام»: «أصبحت قضية الغناء والموسيقى صناعةً للحصول على الثراء العريض، وعلى الألقاب التي لا ندري لها تفسيراً معقولاً، حتى

(١) الشيرازي «المهذب في الفقه الشافعي» (١/٣٩٤).

(٢) النووي «روضة الطالبين» (١١/٢٢٨).

(٣) القاضي أبي يعلى «طبقات الحنابلة» (١/١٣٥) عند ترجمة الحسن بن عبد العزيز بن الوزير.

(٤) ابن عبد البر «الكافي» (٢/٢٥٥)، والحطاب «شرح مختصر خليل» (٦/١٥٣)، وانظر «المتقى النفيس من تلبس إبليس» لعلي حسن علي عبد الحميد الصفحة (٣٠٠).

(٥) ابن عابدين «الحاشية» (٢/٣٥٤)، والألوسي «روح المعاني» (٢١/٦٨)، والزليعي «شرح كنز الحقائق» (٤/١٢٠).

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٣٢١، ٣٩٩)، والدارمي في «السنن» (٢/٣١٨)، والبخاري في «المسند» وأورده

الهيتمي في «كشف الأستار» (٢/٢٤١) الحديث رقم (١٦٠٩) وصححه ابن حبان أورده الهيتمي في «موارد

الظمان» الصفحة (٣٧٨)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٤٢٢)، وأقرّه الذهبي في «اللتخيص» وقال: صحيح.

(٧) شطرة من حديث أخرجه أحمد في «المسند» (١/٣٨٧)، والحاكم في «المستدرک» (١/٣٣)، (٤٣٤) وفي

(٢/٤٧٧) و (٤/١٦٥). وعزاه للهيتمي في «شعب الإيمان» (٤/٣٩٦) الحديث رقم (٥٥٢٤) السيوطي في

«الجامع الكبير» (١/١٧٢)، وأخرجه البغوي في «شرح الشُّعْبَةِ» (٨/١٠).

لقد خَصَّصت وسائل الإعلام الصَّحَفِيَّة مساحاتٍ هائلةٍ لعرض أخبار أهل الفنِّ والتلحين، لم يَظْفَرْ بها العلماء المصلحون...^(١).

وإننا لنجد صحفاً بأكملها كثيرة العدد في العالم الإسلامي، قد خُصِّصت لأهل الفنِّ الموسيقيِّ والغنائيِّ والتمثيليِّ، تُعْرَضُ علينا صورهم المترفة، ومبأذلهم الرخيصة، وتعرض علينا ما حصلوا عليه من أموالٍ خيالية في مقابل أعمالهم، وما حصلوا عليه من تكريمات الحكومات لهم، وإنفاق الآلاف المؤلَّفة للحِفاظِ على صِحَّتِهِمْ، وكأنَّهم أعظم من أسلحة الحرب في وجود الصيانة والحفظ، ثم تعرض أخبار تنقلاتهم وزواجهم وطلاقهم بما قد يتخللها من مخجلات، وكأن زواج هؤلاء ومبأذلهم من الأمور التي لا يَسَعُ عاقلٌ جهلها، ولا يجمل بأُمَّةٍ النهضة والازدهار أن تغفل عنها...

وتلك والله عجيبة العجائب، إن لم تكن كبيرة الكبائر في دنيا المؤامرات العالميَّة الحديثة المحبوكة الأطراف في مواجهة دعوة الإيمان، امتداداً لمؤامرة قديمة سجَّلها القرآن^(٢).

ولهذا كله فإن كل كَسْبٍ مرتبط بمهنة الغناء الماجن هو كَسْبٌ خبيثٌ حرام.

يقول صالح آل فوزان في «الخطب المنبرية في المناسبات المصرية» الصفحة (٣٢٣):
وتشمل الحُرْمَة منظم الحفلة الغنائية، والمغني صاحب الصوت، والملحن (الموسيقار)، وناظم الكلمات الماجنة، وعناصر الفرقة الموسيقية العازفة للألحان، والكُورث (CORAL)، ومؤجر مكان الحَفْلَة، والمستمع الذي يُنفق جليل أمواله في ما يسمونه رأس السنة الميلادية التي تُعَصَّرُ بالمحرِّمات ويرتكب فيها من المعاصي ما يَنْدَى له جبين الإنسان، وكذلك مُسَجِّلِي الأغنيات في «الاستديو»، وبائعي الأشرطة «الكاسيت» في المحلات والعربات في الشوارع، وكتب ومنشورات ومطبوعات مجلات الغناء والفن والطرب كتلك الدور «الفنية» التي تنشر كتيبات لكل فنانٍ على حِدَة، تُتْرَجَمُ سيرة كل واحدٍ منهم وتطبع قصائد أغانيهم وتوزعها في أرجاء العالم الإسلامي حتى وصلت إلى المدينة المنورة وهو ما رأيته بأَم عَيْنِي في موسم الحج، أكثر من أربعين مَجَلَّةً عليها صورة فتاة لا تكرر أبداً، في تعاونية استهلاكيَّة تُبْعَدُ عن الحرم النَّبَوِيِّ (٥) دقائق بالسيَّارة؟

وإنه مهما كثرت هذه الأموال المحرَّمة، والثروات الباطلة في أيدي المغنين الماجنين، فَلَنْ يعود ذلك على الأمة إلَّا وبالاً عليها...

وماذا ينتظر من أُمَّةٍ سَعَرَتْهَا الشهوات كحمم البراكين، وملاها شرب الخمر وهتك الحرمات على أصوات المغنين والمغنيات، ففشى فيها الزنى والميوعة والإباحية؟
وما أصدق الشاعر أحمد شوقي حين قال:

إنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت فإذا هم ذهب أخلاقهم دَهَبُوا

(١) عبد القادر أحمد عطا «هذا حلال وهذا حرام» (٢٠٢ - ٢٠٣).

(٢) «المصدر نفسه» الصفحة (٢٠٢ - ٢٠٣).

ثاني عشر: بالغناء الماجن يُسَلِّطُ الله عدوه على عباده ويتلهمم بالجَدْب والقَحْط (الجفاف) وؤَلَاة السوء:

لقد عانى أحد البلدان (١٧) سنة من الحرب الأهلية والمؤامرات بسبب وؤَلَاة السوء، بعدما غرق معظم شعبه بالغناء والفجور وشرب الخمر والزنى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»^(١): «ومَعْلُومٌ عند العامة والخاصة أن فتنة سماع الغناء والمعازف أعظم من فتنة النوح بكثير. والذي شاهدناه - نحن وغيرنا - وعرفناه بالتجارب: أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهب في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها، إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم العَدُوَّ، وبلُّوا بالقَحْط والجَدْب وؤَلَاة السوء. والعاقِل منا يتأمَّل أحوال عالمنا الإسلامي وبلدانه، وينظر إلى إعلامه وأخباره».

واللَّهِ ما ذهبنا فينا إلا بمزامير ابن سينا.

وما ذهبنا بعض البلدان إلا بمزامير الشيطان

وهكذا سائر الأوطان بعد ذلك، ستذهب عندما نحارب الرحمن.

ثالث عشر: الغناء الماجن والانتحار:

ومن أمثلة ذلك:

- ١ - انتحار فتيات مسلمات بعد معرفتهن بخبر موت العنديل الأسمر.
- ٢ - انتحار المغنية الفرنسية آديت پياف «ÉDITH PIAFF» وقد ذاعت شهرتها في الآفاق وعالم الطرب الفرنسي في الأربعينات، بعدما أفرطت في الشرب والتنقل بين أذرع الرجال، وقد نشأت يتيمة في أحد الشوارع الباريسية.
- ٣ - انتحار المغنية المصرية المنشأ، الإيطالية الجنسية داليدا «DALIDA» في رابع محاولة انتحار، بعدما فشلت في ثلاث.

فأبْغَى ظُلْمٌ بعد هذا الظلم، يهبنا الله الحياة ويسخر لنا الكون لخدمتنا بما يحقق سعادتنا، فَيَغْبُتُ البعض بنفوسهم بين جناباتهم ثم يضيِّعوها، ويضعون حداً لها.

وما ذلك إلا للشعور بعدم أهمية وجودهم، واستيلاء اللامبالاة على مشاعرهم، والشعور بقمة المجد الزائل ثم الفراغ والضياع، واليأس من الإنسانية، فيستولي عليهم الشيطان استيلاءً مُحْكَمًا، يقطع بهم كل الصِّلات، حتى عن ربهم الرحيم الغفور، وفي لحظة من غفلة يدفعهم هذا اللعين للتخلص من الحياة.

تلك هي حضارة القرن العشرين، وشهادة المغنين الماجنين الذي أسرفوا على أنفسهم، وتمادوا في السير وراء شهواتهم، وغلبت عليهم أهواءهم، فظلموا أنفسهم وظلموا من حولهم.

(١) ابن قيم الجوزية «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٤٩٦/١).

رابع عشر: الغناء وفقدان المعاني الإنسانية حيث يتعصّب بعض المغنين ضدّ بعض الأمم.

٤ - الغناء المحرم بين أهل الحسبة والقضاء:

أولاً - أهل الحسبة^(١):

١ - تعريف الحسبة لغة^(٢):

الحسبة: في اللغة تعني الأجر والاسم منها الاحتساب، أي احتساب الأجر على الله سبحانه وتعالى وفي الحديث: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً (أي طلباً للأجر)، غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

كما تعني الحسبة عدة معاني، منها:

- الإنكار: يُقال: احتسب عليه: أي أنكّر عليه قبيح عمله، ومنه: المُحتسب: الذي يُنكرُ على الناس قبيح أعمالهم.

- الاختبار والسير كما قال ابن السكيت: النساء يحتسبن ما عند الرجال أي يختبرن.

- حُسن التدبير والنظر في الأمر وإحصاؤه أو عدّه، كأن تقول: حسب المال حسباً أو حسبه. قال الأصمعي: وفلانٌ حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير.

٢ - تعريف الحسبة اصطلاحاً:

قال الماوردي (ت ٤٥٠هـ) في «الأحكام السلطانية»^(٤): «هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهْيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله».

وقال الشيرازي (ت ٥٨٩هـ) وابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ): أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهْيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس^(٥).

وحدّد شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الحسبة في الإسلام» عمل المُحتسب فقال: «وأما المحتسب فله الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مما ليس من خصائص الولاية والقضاء وأهل الديوان ونحوهم»^(٦).

(١) راجع لمزيد من التفاصيل حول أهل الحسبة في الإسلام:

«الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي، و «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» للشيرازي، و «معالم القرية

في أحكام الحسبة» لابن الأخوة، و «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية، و «الحسبة والنيابة العامة» لسعد بن عبد الله.

(٢) الزبيدي «تاج العروس» مادة (حسب).

(٣) متفق عليه. رواه البخاري في «الصحيح» (٩٢/١) الحديث رقم (٣٨)، ومسلم في «الصحيح» (٥٢٣/١) الحديث

رقم ١٧٥ - (٧٦٠).

(٤) الماوردي «الأحكام السلطانية» من المقدمة.

(٥) الشيرازي «نهاية الرتبة» الصفحة (٦)، وابن الأخوة «معالم القرية» الصفحة (٧).

(٦) ابن تيمية «الحسبة في الإسلام» الصفحة (٣٦).

٣ - أهميتها في التاريخ الإسلامي:

أَوْجَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْوِي عَنِ الْمُنْكَرِ. قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(١).

وحيث أن الحنبة من أهم التطبيقات العملية لهذا المبدأ الإلهي العظيم، لذا فقد أولاها الشارع أهمية خاصة، واهتم المسلمون الأوائل بهذا النظام، وطبقوه على مجتمعاتهم، بل إن علماء المسلمين أزرخوا له وألّفوا فيه المؤلفات الكثيرة، مثل ما جاء في «الأحكام السلطانية» للماوردي (ت ٤٥٠هـ) و «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى ابن الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ)، و «نهاية الرتبة في طلب الحنبة» للشَّيْزُرِيِّ (ت ٥٨٩هـ). و «معالم القربة في أحكام الحنبة» لابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ)، و «الحنبة» لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٤ - أهداف أهل الحنبة:

ردع العُصاة والمفسدين في الأرض وذلك:

(أ) بالمحافظة على الأمن والسلامة العامة: (كردع المُعْتَدِي على العِرْض والمال، والتأكد من سلامة البناء، ومنع أذى الجوار).

(ب) المحافظة على الصحة والآداب العامة: (كردع الغناء المحرّم، ومنع الخلوة بين الجنين المؤدي لارتكاب الفاحشة، ومراكز الدعارة، والقمار، وإقبال متاجر الخمر، والمراقبة المباشرة في الأسواق التجارية للبيع والشراء والمكاييل والموازين، وإزالة مُعَوِّقات الطرق).

(ت) المحافظة على سلامة المعاملات: (كمنع الاحتكار، وتلقّي الرُّكبان، والتدليس الاقتصادي وبيع الغرر والجهالة المؤدية للمنازعة).

(ث) المحافظة على الدِّين (كردع تارك الصلاة أو مؤخرها عن وقتها، والمُفْطِر في رمضان).

٥ - سلطات المحتسب: هي أقل رُتَبَة مِنْ صلاحيات القضاء المحتاجة للدعاوى والشهادات. وهي تَعزِيزِيَّة غير مُقَدَّرَة وتشمل: الضَّرْب، والنَّفْي، والحَبْس، والمصادرة، والغرامة الماليَّة، والمقاطعة (من أهل الخير في البلد للعاصي) المعروفة بالعزل الاجتماعي، والشهير، والتوبيخ، والتهديد والتخويف، والعتاب، والإعراض والوعظ والإعلام.

٦ - أهل الحنبة والغناء المحرّم: عدم ضمان إتلاف آلات الملاهي:

- قال ابن الأخوة في كتابه «معالم القربة في أحكام الحنبة» الصفحة (٨٨)، الباب الثالث في الحنبة على الآلات المحرمة والخمر:

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

فأما المُجَاهِرَةُ بِإِظْهَارِ الْمَلَاهِي الْمُحَرَّمَةِ مِثْلَ الزَّمْرِ، وَالطَّنْبُورِ، وَالْعُودِ، وَالصَّنْجِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آلَاتِ الْمَلَاهِي، فَعَلَى الْمُحْتَسِبِ أَنْ يَفْصَلَهَا حَتَّى تَصِيرَ خَشْبًا لِغَيْرِ الْمَلَاهِي وَيُؤَدَّبَ عَلَى الْمُجَاهِرَةِ عَلَيْهَا وَلَا يَكْسُرُهَا إِنْ كَانَ خَشْبًا يَصْلِحُ لِغَيْرِ الْمَلَاهِي، فَإِنْ لَمْ يَصْلِحْ لِغَيْرِ الْمَلَاهِي كَسَرُهَا، وَلَا يَجُوزُ بَيْعُهَا وَالْمَنْفَعَةُ الَّتِي فِيهَا، لَمَّا كَانَتْ مُحْظُورَةً شَرْعًا كَانَتْ مُلْحَقَةً بِالْمَنْفَعِ الْمَعْدُومَةِ حَتَّى.

- وَقَالَ الشَّيْزُرِيُّ فِي كِتَابِهِ «نَهَايَةُ الرَّتْبَةِ فِي طَلْبِ الْحَبَّةِ» فِي الصَّفْحَةِ (٦):

وَإِذَا رَأَى الْمُحْتَسِبُ رَجُلًا حَامِلَ خَمْرٍ أَوْ يَلْعَبُ بِمَلْهَاءِ كَالْعُودِ وَالْمِعْرَفَةِ وَالْبَرْبِطِ وَالْمِزْمَارِ عَزَّرَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ مِنَ الْمَصْلُحَةِ فِي حَقِّهِ بَعْدَ إِرَاقَةِ الْخَمْرِ وَكَسْرِ الْمَلْهَاءِ.

وَقَالَ فِي الصَّفْحَةِ (١١٠): وَمَتَى سَمِعَ الْمُحْتَسِبُ بِامْرَأَةٍ عَاهِرَةٍ أَوْ مُعَنَّيَةٍ اسْتَتَابَهَا عَنْ مَعْصِيَتِهَا، فَإِنْ عَادَتْ عَزَّرَهَا وَنَفَاها مِنَ الْبَلَدِ.

ثَانِيًا - الْغِنَاءُ الْمَحْرَمُ بَيْنَ يَدَيِ الْقُضَاةِ:

أَيُّ الْقَاضِي شُرَيْحٍ^(١) فِي طَنْبُورٍ كُسِرَ فَلَمْ يَقْضِ فِيهِ بِشَيْءٍ.

فَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (١٢١/٥) فِي (٤٦) - كِتَابِ الْمِظَالِمِ.

وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِيهِ بِأَبَا رَقْمِهِ (٣٢) سَمَاءً: بَابُ هَلْ تُكْسَرُ الدَّنَانُ الَّتِي فِيهَا خَمْرٌ، أَوْ تُحَرِّقَ الرِّفَاقُ؟ فَإِنْ كَسَرَ صَنَمًا أَوْ صَلِيبًا، أَوْ طَنْبُورًا، أَوْ مَا لَا يُنْتَفَعُ بِخَشْبِهِ.

وَأَيُّ شُرَيْحٍ فِي طَنْبُورٍ كُسِرَ فَلَمْ يَقْضِ فِيهِ بِشَيْءٍ^(٢).

(١) وَهُوَ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَنْدِيُّ، قَاضِي الْكُوفَةِ، صَحَّ أَنْ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ وُلِّاهُ عَلَى قِضَائِهَا فَأَقَامَ سِتِينَ عَامًا، وَقَدْ قَضَى بِالْبَصْرَةِ سَنَةً.

وَقَدْ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ إِلَى دِمَشْقَ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ قَاضِي الْمِضْرَيْنِ. قِيلَ: عَاشَ مِائَةً وَثَمَانِيَةَ سِنُونَ، وَاسْتَعْفَى مِنَ الْقِضَاءِ قَبْلَ مَوْتِهِ بَسَنَةَ وَاحِدَةً وَتُوفِيَ عَامَ (٧٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. انظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ (١٠٠/٤) تَرْجَمَةُ (٣٢)، وَفِي «وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ» لِابْنِ خُلِكَانَ (٤٦٠/٢) تَرْجَمَةُ (٢٩٠).

(٢) وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَالُ فِي كِتَابِهِ «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» الصَّفْحَةُ (٨٨) طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَابُ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنْ عَلَيْهِ الْعِزْمُ فِي كَسْرِ شَيْءٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، الْحَدِيثُ رَقْمُ (١٣١).